﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: 15 - 20]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

من التَّوبيخ والتَّعريض إلى الاستدلالِ وعظٌ دائمٌ وإرشادٌ قائمٌ

بعدَ أن نبَّههم نوحٌ ﷺ على التَّفكُّر في أنفُسِهم وأطوارِ خَلْقِهم؛ أتْبَعَهُ بإرْشادِهم للنَّظر في ملكوت السَّماوات والأرض، ليتفكَّروا في خَلْقِهما، وما أودَعَ تعالى فيهما مِنَ الشَّمس والقمرِ، وكيف أنْبَتَهُم مِنَ الأرض، ومهَّدَها لهم[1]، وذكَّرهم - بعدَ التَّذكير بما في أنفُسِهم- بما هو أكبَرُ من ذلك مِن آياتِ الآفاق، وقسَّمها إلى عُلْوِيٍّ وسُفْلِيٍّ، وبدأ بالأنفُسِ؛ لأنَّها مع شَرَفِها أقرَبُ منظورٍ إليه لَهُم، وثَنّى بالعلويِّ؛ لأنَّه يَليها في الشَّرف ووضوحِ الآيات[2].

ومِنَ المُناسبةِ أيضًا أنَّه انتقلَ مِنَ التَّوبيخ والتَّعريض، إلى الاستدلالِ عَلَيهِم بآثار خَلْقِه ووحدانيَّتِه، وما في العِلْمِ من أدلَّةٍ على قُدْرَتِه تعالى[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿طِبَاقًا﴾: (طبق) أصلٌ يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتّى يغطّيه[4]، المُطابقةُ من الأسماء المُتضايفة، وهو أن تجعل الشَّيء فوق آخر بقدره، ومنه: طابَقْتُ النَّعلَ، ثمَّ يُستعمَل الطِّباقُ في الشَّيء الَّذي يكون فوق الآخر تارةً، وفيما يوافق غيره تارةً،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 283، وينظر: القنّوجي، فتح البيان: 14/ 337.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طبق).

كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين، ثمَّ يُستعمَل في أحدهما دون الآخر كالكأس والرّاوية ونحوهما[1]، وأمّا الطِّباقُ في الآية؛ فيجوزُ أن يكون مصدَر (طابقَ) وُصِفَتْ به السَّماواتُ للمُبالغةِ، أي: شديدةُ المُطابقةِ، أي: مُناسِبَةٌ بَعضُها لبعضٍ في النِّظام، ويَجوزُ أن تكونَ طباقًا جمعَ طَبَقٍ، والطَّبَقُ المُساوي في حالةٍ ما، ومنه قولُهم في المَثَلِ: "وافَقَ شَنٌّ طَبَقَهُ"[2]، والمراد بها: أنَّها مُرتفِعٌ بَعضُها فوقَ بعضٍ في الفَضاءِ السَّحيقِ، أو أنَّها مُتماثلةٌ في بعْضِ الصِّفاتِ، مِثْلُ التَّكويرِ والتَّحرُّكِ المُنتَظِم...[3].

والطَّبَقُ: كلُّ غِطاءٍ لازِمٍ عَلى الشَّيءِ، وطَبَقُ كلِّ شَيءٍ: ما ساواهُ، والسَّماواتُ: الطِّباقُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لُمطابَقة بَعضِها بَعضًا، أي: إنَّ بَعضَها فَوقَ بَعضٍ[4]. والمراد في الآية الكريمة: سبع سماوات طباقًا بَعْضُهنَّ فوقَ بعض[5].

2) ﴿سِرَاجًا﴾: (سرج) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلى الحُسْنِ والزِّينَةِ والجَمالِ، ومِنْ ذَلِكَ: السِّراجُ، سُمِّيَ لِضيائِهِ وحُسْنِهِ[6]، والشَّمسُ: سِراجُ النَّهارِ، والهدى: سِراجُ المؤمنينَ، وسَرَّجَ اللّهُ وجهَهُ، وبَهجَه، أي: حَسَّنَه[7]، والسِّراجُ في الآية معناه: المصباح الَّذي يُستضاء به في الظُّلمات[8].

والمراد الآية الكريمة، أي: مصباحًا لأهل الأرض[9].

3) ﴿نَبَاتًا﴾: (نبت) أصلٌ يَدُلُّ عَلى نَماءٍ في مَزْروعٍ، ثُمَّ يُسْتَعارُ، فالنَّبْتُ مَعروفٌ، يُقالُ: نَبَتَ، وأَنْبَتَتِ الأَرْضُ[10]، فالنَّبْتُ والنَّباتُ: ما يخرج من الأرض من النّاميات، سواءٌ أكان له ساقٌ كالشَّجر، أم لم يكن له ساق كالنَّجْم[11]، والنّابتُ مِنْ كُلِّ شيءٍ: الطَّريُّ حينَ يَنْبُتُ صَغيرًا، وما أَحْسَنَ نابتةَ بَني فُلانٍ، أي: ما يَنْبُتُ عليهِ أموالُهم وأولادُهم، والنَّوابتُ

(1) الراغب، المفردات: (طبق).
(2) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال: 2/ 336.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 16.
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (طبق).
(5) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 102.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرج).
(7) الخليل، العين: (سرج).
(8) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 223.
(9) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 102.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبت).
(11) الراغب، المفردات: (نبت).

مِنَ الأحداثِ: الأغْمارُ[1]، و(نباتًا) في الآية مراد به: النَّشأة والتَّكوين، أي: إنَّ الإنسان هو من وجه نبات من حيث إنَّ بدأه، ونشأه من التُّراب، وإنَّه ينمو نُموَّه، وإن كان له وصف زائد على النَّبات[2]،

والمراد في الآية الكريمة: خلقَكُم مِن أديم الأرض، وأنشأكُم باغتذاء ما تُنبتُه الأرض[3].

4) ﴿بِسَاطًا﴾: (بسط) أصلٌ يدلُّ على امتِدادِ الشَّيءِ، في عِرَضٍ أو غَيرِ عِرَضٍ، فالبِساطُ: ما يُبْسَطُ، والبَساطُ: الأرضُ، وهيَ البَسيطَةُ[4]، وبَسْطُ الشَّيء: نَشْرُه وتَوْسيعُه، فتارةً يُتَصَوَّر منه الأمْران، وتارةً يُتَصوَّر منه أحدُهما، ويقال: بَسَطَ الثَّوبَ؛ إذا نشرَهُ، ومنه: البِساط، وذلك اسم لكلِّ مَبْسوط، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، والبِساط: الأرض المُتَّسعة[5]، والبسط في الآية معناه: الاتِّساع في الشَّي، والمراد: مَبسوطة، مُتَّسِعة، مُمهَّدة كالفِراشِ تتقلَّبون فيها.

والمراد في الآية الكريمة: مبسوطَة[6].

5) ﴿لِّتَسْلُكُواْ﴾: (سلك) أصل يدلُّ على نُفوذ شيءٍ في شيء، وإدخالُ شَيء في شيءٍ تَسْلُكُه فيه، والمَسْلَكُ: الطَّريق[7]، والسُّلوكُ: النَّفاذ في الطَّريق، يُقالُ: سَلَكْتُ الطَّريق، وسَلَكْتُ كذا في طريقه، قال الله تعالى: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[8]، والسُّلوك في الآية معناه: الاتخاذ والنَّفاذ في شيءٍ لفائدة، والمراد: أن تتَّخذوا منها لأنفسكم طرقًا متَّسعة[9].

والمراد في الآية الكريمة: لِتتقلَّبوا عليها كما يتقلَّب الرَّجل على بِساطِه[10].

6) ﴿فِجَاجًا﴾: (فجّ) أصلٌ يَدُلُّ عَلى تَفَتُّحٍ وانفِراجٍ، ومِن ذَلِكَ: الفَجُّ، وهو الطَّريقُ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نبت).
(2) الراغب، المفردات: (نبت).
(3) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 102.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسط).
(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (بسط).
(6) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 103.
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن فارس، مجمل اللغة: (سلك).
(8) الراغب، المفردات: (سلك).
(9) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 21.
(10) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 545.

البعيد والواسعُ بين الجَبَلَين، وجمعُهُ: فِجاجٌ، وقيلَ: في جبَل أو في قُبُلِ جَبَل، وهوَ أوسع مِنَ الشِّعْبِ[1]، والمراد به بالفِجاجِ في الآية الكريمة: جمع فجٍّ، وهيَ الطُّرق الواسعَةُ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مظاهِرُ قدرةِ الله تَعالى في الخَلْقِ والبعثِ

يُخْبِرُ اللّهُ تَعالى عمّا قال نوحٌ ﷺ لقومهِ واعظًا لهُم ومرشدًا: ألَم تَعْلَموا كيفَ خلق اللّهُ سبعَ سماواتٍ متطابقَةً بعضها فوقَ بعض، وتَنْظُروا بأعيُنِكم ما دلَّ على ذلك من الأدلَّةِ الشّاخِصَةِ؟ واللّه تعالى قد صيَّر القمَرَ في هذه السَّماوات نورًا يُضيء اللَّيلَ لَكُم، وجعل الشَّمس مصباحًا متَّقدًا يَستَضيء به أهلُ الأرض في النَّهار، واللّه تعالى هو الذي أنشأ أصلَكُم مِنَ الأرضِ إنشاءً، ثمَّ بعد ذلك تموتونَ، فيُعيدكُم في الأرض، فتُدفَنون فيها، ويُخْرِجُكم يومَ القيامة منها إخراجًا حتميًّا محقَّقًا، فيَبْعَثُكم أحياءً مرَّة أخرى، واللّه تعالى هو الذي جعل لكم الأرضَ ممهَّدة كالبِساط؛ لتَذْهَبوا فيها، وتَمْشوا عليها، فتتَّخذوا فيها طُرقًا سهلةً واسعَةً[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ فصلِ جملة ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾:

الشُّروع في ذِكْرِ الآيـــات بـعـدَ الإنكارِ

فُصِلَ قول اللّه جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه جملة مستأنفةٌ، فقد سيقَت للانتقال من حجَّةٍ إلى حجَّة أخرى، وذلك أنَّ نوحًا ﷺ لمّا ذَكَرَ خَلْقَ اللّهِ تعالى لهم موبِّخًا لهم ومنكرًا عليهم كُفْرَهُم به؛ تخلَّص مِن ذلك إلى الاستدلالِ عليهم بآثار وُجود اللّه سُبحانَهُ ووحدانيَّته وقدرتهِ بِما سَيَذْكُرُ مِنَ الأدلَّة[4].

(1) الأزهري، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (فج)، وابن منظور، لسان العرب: (فجج).
(2) الواحدي، البسيط: 22/ 261، والسمين، عمدة الحفاظ: (فجج).
(3) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 571.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.

دلالَةُ الاستفهامِ معَ النَّفي:

إنكارُ عدَمِ الاستدلالِ بعَظيم الآيات، وهيَ شاخِصَةٌ

عبَّر النَّظم الجليل بالاستفهام بالهمزة مع النَّفي بـ (لم)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ للتَّقرير، والمراد من التَّقرير: الإنكار عليهم على عدَمِ العِلْمِ والمعرفة بناءً على ما يَرَوْنَهُ مِن شواهدِ الأدلَّة[1].

دلالة التَّعبير بالرُّؤية مادَّةً وصيغَةً:

العلمُ والمُشاهدَةُ حُجَجٌ تكذِّبُ المكذِّبينَ

جاءَ التَّعبيرُ بالرُّؤية في قوله تَعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، وهي هنا صالحة لأن تكون علميَّة؛ وذلك لأنَّهم يعلمون أنَّ الله تعالى هو الخالِقُ، ويجوز أن تكون بصريَّةً، فهُم يُشاهِدونَ عجائِبَ الخلقِ الدّال على كمال عِلْمِ الخالق وقُدْرَته[2].

وعُبِّر عن فعل الرُّؤيةِ بصيغَةِ المضارِعِ؛ لإفادَةِ التَّجدُّدِ والاستمرارِ، وذلك لأنَّهم يشاهدونَ السَّماواتِ على وجهِ الاستمرارِ، فيتجدَّدُ لهم بذلك علمٌ بخلْقِها ونظَرٌ جديدٌ إليها.

دلالَةُ الاستفهامِ بـ ﴿كَيْفَ﴾:

هَيئَةُ الخَلْقِ تنطِقُ بوحدانيَّة الخالِقِ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ باسم الاستفهام ﴿كَيْفَ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ منكرًا عليهِم عدَمَ التَّأمُّل[3]، وهي هنا مجرَّدة عن الدَّلالةِ على السُّؤال، وقد جيء بها خالصَةً للكيفيَّة والهَيْئَة والحالِ، أي: ألَسْتُم تَرَوْنَ هيئةَ خَلْقِ اللهِ السَّماوات[4].

دلالَةُ التَّعْبير بفِعْلِ الخَلْقِ مادَّةً وصيغَةً:

عُبِّر بلفظِ الخلق في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّه تعالى قد أوْجَدَهُم مِنَ العدَمِ[5]، وصيغَ هذا الفِعْلُ ماضيًا؛ لإفادَةِ أنَّه محقَّق مقرَّرٌ.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202، والهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 255.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 441.

دلالَةُ ذِكْرِ الاسْمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

الإلـه العظيمُ هو الخالِقُ لا الآلِهَةُ الزّائِفَةُ

عبَّر النَّظم الكريمُ بالاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾، في قوله سُبحانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الخالقَ لَهُ العلمُ التّامُّ والقدرة الكاملةُ والعظمة البالغة، فاللّه تَعالى هو الذي خلق السَّماواتِ، وليسَ آلهتَكُم الضَّعيفةَ[1].

دلالةُ التَّعبير بالمركَّب الإضافيّ: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾:

عدٌّ يُبهر وموقعٌ يُنير

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالمركَّب الإضافيِّ ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، في قوله سُبحانَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، وهو مِن إضافة الصِّفة إلى الموصوفِ، فكان وصفُ السَّماوات بكونِها سبعًا معلومًا لديهم؛ إذِ المراد به: سبعُ كواكب في مداراتها، وفي ذِكْرِه أيضًا تعليمٌ للمُخاطَبين على طريقةِ الإدماجِ[2].

دلالَةُ التَّعبير بلَفْظِ ﴿طِبَاقًا﴾ مادَّةً وصيغَةً:

النِّظام الكونيُّ يَشْهَدُ للكمالِ الإلهيِّ

عُبِّر بلفظ الطِّباق في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، وهو لفظ يدلُّ على جعلِ الشَّيء فوقَ آخرَ بقَدْرِه، أي: جَعَلَ بعضَها فوقَ بعضٍ[3]، وأعلى مِن بعضٍ، سواءٌ أكانت مُتماسَّة أم كان بينَها ما يُسمّى بالخلاء[4]، والوارِدُ في الأخبارِ أنَّها غيرُ متماسَّةٍ[5]، وكلُّ واحدة في التي تليها محيطة بها، وهذا مِن المطابقةِ بين المُتَقابلات الذي يُعَدُّ في غاية الصُّعوبة، ولا يقدر عليها من جميع الوجوه أحَدٌ إلّا اللّهُ تعالى[6].

وَجْهُ العَطْفِ بالواوِ:

إنارَةُ الوُجودِ تُنيرُ القلوبَ، وتدلُّ على الخالقِ العظيمِ

عُطِفَ قولُه جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، على قوله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.
(3) الراغب، المفردات: (طبق).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 202.
(5) ابن عثيمين، القول المفيد: 2/ 542.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.

تَعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾[1]؛ لأنَّ جَعْلَ القمرِ نورًا من العجائبِ الدّالَّة على الخالقِ الحكيم، فنبَّه بذِكْرِه على أنَّه يَجِبُ النَّظرُ في خَلْقِه، وجعْله نورًا، كما يُنْظَر إلى خلقِ السَّماوات طِباقًا[2].

دلالَةُ التَّعبير بالجَعْلِ:

عُبِّر بالجَعْلِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾؛ للدَّلالة على التَّصيير، أي: صيَّر القمَرَ فيهنَّ نورًا[3]، فهو تصييرٌ بعدَ الخَلْقِ؛ إذ مرحلَةُ جعْلِهِ نورًا غيرُ مرحلَةِ خلْقِه وتكوينِه[4]، فهو نعمَةٌ أُخْرى مِن نِعَمِهِ تعالى.

تصييرٌ بعدَ خَلقٍ نعمَةٌ متجدِّدَةٌ

دلالَةُ (أل) في ﴿ٱلۡقَمَرَ﴾ و﴿ٱلشَّمۡسَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡقَمَرَ﴾، وكذلك في ﴿ٱلشَّمۡسَ﴾: عهديَّةٌ، والمراد بهما: الجِرْمان المعروفانِ، وقد عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالقمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾، وهو الجُرم الذي ينيرُ ليلَ الأرض إنارةً مفيدَةً، بخلاف النُّجوم؛ فإنَّها لا تُجْدي البشرَ شيئًا من الإنارة[5]، فذِكْرُهُ دونَ سواه لظُهورِ رُؤْيَتِه، ولقُرْبِه وسُرعة حركتِه، وظهوره كلَّ شَهْرٍ، وذلك أعجَبُ في القدرة[6].

ما أقربَ النّورَ مِنَ العيونِ وأبْعَدَهُ مِن قلوبِ الجاحِدين!

فائدَةُ التَّعبير بشِبْهِ الجُمْلَةِ ﴿فِيهِنَّ﴾:

عبَّر النَّظم الجليلُ بشِبْهِ الجملة ﴿فِيهِنَّ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ القمَرَ مظروفٌ في السَّماوات جميعًا، وجَعْلُهُ كذلك مع أنَّه كائن في السَّماءِ الدُّنيا؛ لأنَّه إذا كان في إحداهنَّ؛ فهو كائِنٌ فيهنَّ جميعًا[7].

موقِعُ القمَرِ يُغْني، ونورهُ مُتَّسِعٌ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 273.
(2) القنّوجي، فتح البيان: 14/ 337.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.
(4) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 194.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 203.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.
(7) القنّوجي، فتح البيان: 14/ 337.

دلالَةُ تقديمِ شِبْهِ الجُمْلَة ﴿فِيهِنَّ﴾:

إعجازُ الموقِعِ السّابحِ في الفضاءِ أبلَغُ مِنَ النّورِ المُشاهَدِ

قُدِّمَت شبهُ الجملة في قوله تَعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، دون أن يَرِدَ في النَّظم القرآنيِّ: (وجعل القمر نورًا فيهنَّ)؛ لأنَّ كونهُ في السَّماوات أهمُّ من كونه منيرًا، فنورُهُ لَم يكُن لَو لَم يكُن القمَرُ في مكانهِ ذاكَ.

دلالَةُ التَّعبير بالنّورِ ونُكْتَةُ تَنْكيرِه:

نورٌ عظيمٌ ولَعانٌ يفيض بالكرمِ الإلهيّ

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بلفظ النّور مُنَكَّرًا، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ للدَّلالة على لَمعانه وإنارَته، وكونهِ مضيئًا لأهل الأرض[1]، والتَّعبير بالنّور دون (منيرًا)؛ للمبالغةِ في صفةِ الإنارة[2]، وذلك أنَّه قد جعل القمر هو النّورَ، والتَّنكير في لفظِ ﴿نُورًا﴾؛ لتفخيمِ الإنارة فيهِ وتَعْظيمِها.

دلالَةُ العَطْفِ بالواو في ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾:

القمَرُ والشَّمْسُ تناسُقُ نورَيْنِ ونِعمَتَين، والغايةُ واحدَةٌ

عُطِفَ قولُ الله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ بالواو؛ للدَّلالة على الجمع بين نِعمَتَين عظيمَتَين: القمرِ بإنارته اللَّيليَّة الرَّقيقة، والشَّمسِ بسِراجها النَّهاريِّ الوضّاء، دون دلالة على ترتيبٍ زمنيٍّ، بل لبيان تنوُّع امتنانهِ على خلقِه وكمال قُدْرَته، فقد اجتمع في الآية الاستدلالُ على قدرة اللّهِ تَعالى الباهرة، والامتنانِ على العباد بما يسَّرَ لهم مِن أسبابِ الضّياء والمَعاش[3].

نُكْتَةُ تكرار لفظ (جعل):

جعْلُ الشَّمس سراجًا نعمةٌ فريدَةٌ

أعاد النَّظم الجليلُ لفظَ الجعل، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، دون أن يَرِدَ التَّعبيرُ بـ: (والشَّمسَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 443.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 203.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 204.

سراجًا)؛ وذلك لتعظيم شأن الشَّمس[1]، فهي مستقلَّة بجَعْلٍ خاصٍّ بها، وهي نعمةٌ مستقلَّة برأسِها.

دلالَةُ حَذْفِ شِبْهِ الجملة:

حُذِفَ شبهُ الجملةِ (فيهنَّ)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ إذ لم يُعَبَّر بـ: (وجعل الشَّمس فيهنَّ سراجًا)؛ لدلالة ما قبلَهُ عليه، فهو من الإيجازِ اكتفاءً بالمذكورِ.

دلالَةُ تَنْكير السِّراجِ:

نُكِّرَ لفظ السِّراج في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ لتعظيم ضوء الشَّمس، أي: جَعَل الشَّمسَ "نورًا عظيمًا كاشفًا لظُلْمَة اللَّيل عن وجه الأرض"[2].

سراجٌ لا يَنْطَفِئ، وضّاءٌ يَعُمُّ كلَّ الأرجاء

بلاغَةُ التَّشبيه في الإخبارِ عَنِ الشَّمس:

شبَّه النَّظم الجليل الشَّمس بالسِّراج، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، على طريقة التَّشبيه البليغ، فحُذِفَت الأداةُ ووجهُ الشَّبهِ، أي: إنَّ الشَّمس كالسِّراج والمصباح في إزالةِ ظُلْمَةِ اللَّيل، فيُبْصِرُ أهلُ الدُّنيا في ضوئِها الأرضَ والآفاقَ، كما يُبْصِرُ أهلُ البيتِ بالسِّراج ما يَحْتاجونَ إلى إبْصارِه[3]، والقصد من هذا التَّشبيه "تقريب المُشَبَّه من إدراك السّامع، فإنَّ السِّراج كان أقصى ما يُستَضاءُ به في اللَّيل، وقلَّ من العرب مَن يتَّخِذُه، وإنَّما كانوا يَرَونَهُ في أدْيرَةِ الرُّهبان أو قصور المُلوك وأضرابِهم"[4].

الشَّمس تزيل الظُّلمةَ عن العيون؛ فمَن ذا يُزيلُ الغفلةَ عَنِ القلوبِ؟

دلالَةُ تَقْديمِ ﴿ٱلْقَمَرَ﴾ على ﴿ٱلشَّمْسَ﴾:

قُدِّمَ القمَرُ على الشَّمس، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾، وذلك لأنَّ اللَّيل مقدَّمٌ في الذِّكر على

سبْقُ اللَّيلِ النَّهارَ يقتضي تقديمَ القمَرِ على الشَّمسِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 443.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 443.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 256.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 203.

النَّهار، في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر: 61]، فناسب تقديم ما يضيء في اللَّيل على ما يضيء في النَّهار، كما أنَّ القمَرَ أقلُّ في المرتبة وأضعَفُ في النّور من الشَّمس، فرتَّب ذِكْرَهُما على طريقة التَّدرُّج من الأدنى إلى الأعلى، فبدأ بالنِّعمةِ الأقلِّ، وانتهى بالنِّعمةِ الأعظم، ثُمَّ إنَّ رؤية القَمَرِ أظهَرُ؛ لِقُرْبِه وسرعة حركته، وقطعه جميعَ البُروج في كلِّ شهر مرَّةً، وغيبَتِه في ليالي السِّرارِ ثُمّ ظهوره، وذلك أعجَبُ في القُدْرَةِ[1].

دلالَةُ تخصيصِ النّور بالقَمَرِ والسِّراج بالشَّمس:

نـورٌ مُستَعارٌ، وسـراجٌ مضيءٌ بذاتِه

خصَّ النَّظم الجليل النّورَ بالقمرِ، والسِّراجَ الدّالَّ على الضّياء بالشَّمس، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾؛ وذلك إيماء إلى أنَّ ضوء القمر ليس منه؛ إذْ هو مُظْلِم، وإنَّما هو يعكِسُ أشعَّة الشَّمس، فيضيء على الأرض، بخلاف الشَّمسِ فإنَّها بعكس ذلك، فهي ملتهبة وضياؤُها ذاتيٌّ، فهو يصدُر عنها إلى الأرض وإلى القمَرِ[2].

وَجْهُ العطفِ بِـ (الواو):

وصلٌ لبيانِ خلقِ الإنسان، ودليلٌ عـلى الـقـدرة والإعادَةِ

عطَفَ النَّظم القرآنيُّ الجملةَ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ على ما قبلها؛ لكونِها من جملةِ مَقول القول الذي قاله نوحٌ ﷺ لقومه، فبَعدَ أن ذكرَ نوحٌ ﷺ الأدلَّةَ على وحدانيَّة الله تعالى وقدرته ونِعَمِه في الآفاق؛ أتبعَهُ هنا بذِكْرِ دليل الأنفُس، ففي كلٍّ من هذه الأمور دلالَةٌ واضحة على عظمَةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِه، وباهِر مَصنوعاتِه[3].

سِرُّ تقديمِ المُسْنَدِ إليه على المُسْنَدِ الفعليِّ:

قُدِّم الاسمُ الأحسَنُ (الله) - وهو مسند إليه - على المسنَدِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 204.
(3) الدّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 10/ 191 - 192.

الفعليِّ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾؛ للدَّلالة على كمال التَّعظيم، الاهتمام بمضمون الخطاب، وتأكيده[1]، ووجه تأكيدِهِ ما فيه مِنْ تكرارِ النِّسبةِ، فإنَّ فعل الإنباتِ مسنَدٌ إلى الاسم الأحسَنِ (الله)، ومسنَدٌ إلى الضَّميرِ المستترِ فيه، فكان ذلك تكرارًا للإسنادِ، وهو مِنْ مقوّيات الكلامِ ومؤكِّداتِهِ.

بلاغَةُ الاستِعارَةِ في لفظِ الإنباتِ:

النّاس جميعًا نبتٌ لا حول لهم إلّا باللهِ تعالى الـذي أنبَتَهُم وأوْجَدَهُم

استعار النَّظمُ الجليلُ لفظَ الإنبات للإنشاءِ والإيجادِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾، وهي استعارةٌ تصريحيَّة تبَعيَّة، فشبَّه النّاسَ بالنَّبات، واستعار الإنباتَ للإنشاءِ، فاشتَقَّ مِنَ الفِعْلِ (أنبَتَ) مَعْنى أنشأ على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، وفائدة هذه الاستعارةِ الدَّلالةُ على الحدوثِ، فإنَّهم إذا كانوا نباتًا؛ كانوا مُحْدَثين لا محالةَ حُدوثَ النَّباتِ[2].

دلالةُ التَّعبير بشبه الجملة: ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وتقديمها:

الأصـل التُّرابي حجَّة قائمَةٌ في مَشْهَد الخلق

﴿مِّنَ﴾ حرفٌ دالٌّ على ابتداء الغايةِ المكانيَّة، و(أل) في ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ للعهدِ العلميِّ، وقد عبَّر النَّظم القرآنيُّ بشبه الجملة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقدَّمه على المصدر ﴿نَبَاتٗا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾؛ للدَّلالة على أصل الخَلْقِ الأوَّل، وهو التُّراب، فهو تذكير للنّاس بما كان مِن خَلْق آدمَ ﷺ، وذلك للدَّلالة على الحدوث والتَّكوُّنِ من الأرض، وبيانٌ بأنَّه جعل غذاءَنا من الأرض التي خُلِقْنا منها، وبذلك الغذاءِ نُمُوُّنا[3].

بلاغَةُ الجِناس في ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ و﴿نَبَاتٗا﴾:

جناسٌ يكشِفُ سرَّ البَدْءِ

جُمِعَ بين (أنبت) و﴿نَبَاتٗا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 195.

(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 279، وينظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 284، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 442، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 204.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 442، والخطيب، السراج المنير: 4/ 392.

مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ على طريقة الجِناس الاشتقاقيِّ، وفائدةُ ذلك التَّنبيهُ على أصل الخلق الأوَّل، وتأكيدُ دليلِ الحدوث، فهذا الجناسُ يُذكِّر السّامعَ بارْتِباط الإنسان بالأرضِ، وأصلِه الذي نشأ مِنهُ، ويؤكِّد قدرةَ اللّه ﷻ على الخَلْقِ من الشَّيء المهين مخلوقًا عاقلًا خصيمًا.

دلالَةُ التَّعبير بالمفعولِ المُطْلَقِ ﴿نَبَاتٗا﴾:

إنكارُ البَعْثِ وحتميَّةِ الرُّجوع، كأنَّه إنكارٌ لابتداءِ الخَلْقِ

عبَّر النَّظم الجليلُ بالمفعول المطلق، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾؛ للدَّلالة على التَّأكيد، وذلك لأنَّهم منكرونَ للبَعْث، وإنكارُ البعث كأنَّه إنكارٌ لابتداءِ الخَلْقِ[1]، فجاء التَّعبير بالمفعول المطلق؛ ليؤكِّد الحدوثَ الذي يدلُّ على حتميَّة الرُّجوع، كما أنَّ التَّأكيدَ يدُلُّ على تقوية مضمون الخبر، فأكَّد كونَهُم خُلِقوا من الأرض؛ لبيان كونهم مخلوقينَ، وأنَّ خالِقَهُم اللّهَ تعالى قد منَّ عليهم بِلُطْفِه ورَحْمَتِه.

نُكْتَةُ التَّعبير بالنَّبات دون الإنبات:

الخَلْقُ إنباتٌ والإنسانُ نباتٌ على وجْهِ التَّحقيق واليقين

آثر النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالنَّبات، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ دون الإنبات، فلم يَرِد في البيان القرآنيِّ: (أنبتكم إنباتًا)، مع كونِ (الإنبات) أوفقَ للفعل (أنبت)، إلّا أنَّهُ أوثرَ تأكيدُ الفعلِ باسْمِ المَصْدَرِ، مجرَّدًا من زيادةِ الهمزة؛ للإشارةِ إلى هوان ابتداءِ خَلْقِهم عليه ﷻ وسُهولته[2]، فضلًا عمّا فيه من عدولٍ مِنَ الثِّقل إلى الخفَّة توخّيًا لكمال الفصاحَة[3]، ثُمَّ إنَّ فيه لطيفةً دقيقة، وهي أنَّه "لو قال: (أنبتكم إنباتًا)؛ كان المعنى: أنبتكم إنباتًا عجيبًا غريبًا، ولمّا قال: أنبتكم نباتًا؛ كان المعنى أنبَتَكُم، فنبتُّم نباتًا عجيبًا، وهذا الثّاني أولى؛ لأنَّ الإنباتَ صفةُ اللّه تعالى، وصفة اللّه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 204.

تعالى غير محسوسة لنا، فلا يعرف: أنَّ ذلك الإنباتَ إنباتٌ عجيب كاملٌ إلّا بواسطة إخبارِ الله تعالى، وهذا المقامُ مقامُ الاستدلالِ على كمال قدرة الله تعالى، فكان موافقًا لهذا المقام، فظهَرَ بهذا: أنَّ العدولَ عن تلك الحقيقةِ إلى هذا المجازِ؛ كان لهذا السِّرِّ اللَّطيف"[1].

احتباكٌ بديعٌ

كما أنَّ التَّعبير بالنَّباتِ دون الإنباتِ يجعل الجملة، في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾، مِن قبيلِ الإيجازِ، والمعنى: الله أنبتكم إنباتًا، فنبتُّم نباتًا، وهذا الإيجازُ احتباكٌ، وهو المُسمّى: الحذفَ المقابَليَّ أو حذفَ التَّقابُلِ، ووجهُ ذلك: أنَّ ذِكرَ (أنبت) أوَّلًا دالٌّ على حَذْفِ مصدرِهِ ثانيًا، وذِكْرَ (النَّبات) ثانيًا دالٌّ على حذفِ فِعْلِه أوَّلًا[2].

وَجْهُ العطفِ بالحَرْفِ ﴿ثُمَّ﴾:

انتقالٌ رُتبيٌّ مِن النَّشأة إلى المصيرِ

عَطَفَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ بحَرْفِ العطف ﴿ثُمَّ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾، وهي هنا للتَّراخي الرُّتبيِّ، فإنَّهُ لمّا ذَكَرَ أصلَ الإنشاء من الأرضِ بالإنباتِ؛ أدْمَجَ به الإنذارَ بالبَعْثِ؛ لأنَّ البَعْثَ أهَمُّ رتبةً مِن الاستدلالِ عليهم بأصْلِ الإنشاءِ[3].

دلالَةُ الفِعْلِ ﴿يُعِيدُكُمۡ﴾ مادَّةً وصيغةً:

العَوْدُ إلى الأصل وعــدٌ إلـهـيٌّ؛ كما بدأ الخَلْقَ يُعيدُه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالفعل (يعيد)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم بعد حياتِهم في الأرض يموتون، ثمَّ يعودونَ إلى الأرض بالدَّفن فيها[4]، وقد جاء التَّعبير بالفعلِ المضارع لاستحضارِهِ في ذهن المخاطَبينَ، كأنَّه يقَعُ زَمَنَ الخطابِ؛ مبالغةً في تحقيقِهِ.

(1) الدّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 10/ 192.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(4) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 415.

فائِدَةُ التَّعبير بشِبْهِ الجُمْلَةِ ﴿فِيهَا﴾:

عودَةٌ إلى موطنِ البدءِ؛ لتَبْدَأ النِّهايةُ

عُبِّر بشبه الجملة ﴿فِيهَا﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم يَرْجِعون بعد الموتِ إلى الأرضِ الحاليَّة التي خُلقوا منها، وعاشوا فيها، فيتحوَّلون إلى ترابٍ وعظامٍ ورُفات[1]، وحرفُ الجرِّ (في) دالٌّ على الظَّرفيَّةِ، فأشار قولُه تعالى: ﴿يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ إلى الدَّفْنِ؛ لأنَّ العبادَ إنَّما يدخلونَ الأرضَ، وتُحيطُ بهم تُربَتُها من كلِّ جهةٍ كإحاطة الظَّرف بالمظروفِ؛ إذا ماتوا، ودُفِنوا.

نُكْتَةُ العدولِ عن الإتيان بمَصْدَر ﴿يُعِيدُكُمْ﴾:

الموتُ حقٌّ على كلِّ إنسانٍ؛ لا يُنْكِرُه مؤمِنٌ ولا كافِرٌ

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ لم يُؤْتَ بمصدرِ الفعل (يُعيدُكم)، وفاقَ ما مرَّ ذِكْرُه في قوله: ﴿نَبَاتًا﴾، وما سيأتي ذِكْرُه في ﴿إِخْرَاجًا﴾، مع أنَّ في الموت دليلًا على تمام العِلْمِ والقدرة، وذلك لأنَّ هذا الدَّليل ليس كدلالةِ الابتداء بالابتداع، وقد كان مسلَّمًا به ليس فيه نزاع، فذُكِرَ مِن غير تأكيدٍ لَهُ بالمصدَر[2].

سِرُّ العطف بالواو بعد العطفِ بـ ﴿ثُمَّ﴾:

دَمْجُ المراحلِ بِتَرابُطِ المعاني

آثر النَّظمُ الكريمُ عطفَ الإخراج على الإعادة بالواو بعد أن عَطَفَ بـ ﴿ثُمَّ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، فلم يَرِدِ البيانُ القرآنيُّ: (ثُمّ يخرجكم)، بل استعملَ الواوَ الدّالَّةَ على الجمع؛ وذلك للدَّلالة على أنَّ "الإخراج مع الإعادةِ في القبْرِ كشيءٍ واحد، لا يجوز أن يكون بعضُها محقَّقَ الوقوع دون بعضٍ، والمعنى: أي: ثُمَّ يُعيدُكم في الأرض، كما كنتُم ترابًا، ويخرِجُكم متى شاءَ أحياءً، كما كنتُم بشرًا"[3].

دلالَةُ التَّعبير بالإخراجِ:

البَعْثُ آتٍ لا مفرَّ مِنْهُ

جاءَ التَّعبيرُ بالإخراج في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 196.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 257، وينظر: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 298.

للدَّلالة على البَعْثِ بعدَ الموت، أي: يُخْرِجُكم بِبَعْثِكُم مِنَ القبور[1]، فذُكِر البعثُ بعد الموتِ والإعادةِ إلى الأرض؛ لدَمْجِ الإنذار بالبعث مع الاستدلالِ على الألوهيَّة وكمالِ الرُّبوبيَّة[2].

دلالَةُ التَّعبير بالمفعولِ المطلق ﴿إِخْرَاجًا﴾ منكَّرًا:

عبَّر النَّظم الجليلُ بالمفعول المطلق، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾؛ للدَّلالة على تأكيد الإخراجِ والبَعْثِ مِنَ القبور وشدَّة العنايةِ به، فهو إخراجٌ محقَّق واقعٌ لا محالة[3]، وفائدة التَّأكيد هنا تتأتّى من كونِ المُشْرِكين مُنْكِرين للبعث، فكان مقتضى الحالِ يوجِبُ تأكيدَهُ للرَّدِّ على إنكارِهم[4]، وعلَّة تنكيرِهِ بيانُ غرابةِ هذا الإخراج، أي: "ليس هو كما تَعْلَمونَ، بَل تكونون به في غاية ما يكون مِنَ الحياة الباقيةِ، تلابِس أرواحُكم بها أجسامَكُم ملابسةً لا انفكاكَ بعدَها لأحدِهما عنِ الآخَر"[5].

الـــــرَّدُّ عـلى المـشـركـين في إنكارِهِم البَعْثَ

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾:

عُطِفَ جَعْلُ الأرض بساطًا في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ على النِّعم السّابقة، فهو عطفُ النِّعم للاستدلال والامتنان[6]؛ وذلك ليسجِّل عليهم كثرةَ النِّعم، ويذكِّرَهُم بأنَّه جَعَلَ الأرضَ مُهَيَّأة مسخَّرةً كالبِساط، فيسهلَ التَّقلُّب عليها واستخراجُ ما في بَطْنِها مِنَ المعادن المختَلِفَةِ وخيراتِها المُتَنَوِّعَة[7].

مـــن عـظـيـمِ النِّـعـمِ وجليل الآلاءِ بَـسْـطُ الأرضِ للإنسانِ

دلالَةُ إظهارِ الاسمِ الأحسَن (الله) وتقديمِه على المُسْنَدِ الفعليّ:

أُظْهِرَ الاسمُ الأحسَنُ (اللّه)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ

تعظيمُ الخالِقِ مـبـالـغَـةٌ في الـوَعْـظِ وكـمالِ التَّنبيهِ

(1) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 415.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 284، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(4) الخطيب، السراج المنير: 4/ 392.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(7) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 258.

﴿لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ دون إضمارِه؛ ليكون الكلامُ مبنيًّا على تقديم المسند إليهِ على المسند الفعليِّ، وفي ذلك تعظيمٌ لَهُ وتيمُّنٌ بِهِ؛ لما في الاسم الأحسَن (اللّه) من جلالٍ وعظمةٍ[1]؛ إذ هوَ الاسمُ الجامع لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، كما أنَّ في إظهارِهِ تأكيدًا على عِظَمِ جَعْلِ الأرض بساطًا؛ بحيثُ يُعدُّ ذلك نعمَةً مستقلَّة بذاتها، جديرةً بالدَّلالة على وجوبِ الإيمان والإخلاص بالعبادةِ.

وفي إظهار الاسْم الأحسَنِ (اللّه) مرَّة بعدَ أخرى في هذا السّياقِ تعظيمٌ للأدلَّة؛ لئلّا تُقيَّد القدرةُ بما يقترِنُ بِهِ الاسمُ؛ دالًّا بالعالَم السُّفليِّ بعد الإرشاد بالعلويِّ، وأخَّر السُّفلي؛ لأنَّ آياتِه على ظهورها خَفيَت بكَثرَةِ الإلفِ لَها[2].

وفي تأخيرِ المسنَدِ الفعليِّ ﴿جَعَلَ﴾ تقويةٌ للجملةِ وتأكيدٌ لها؛ لِما في بنائِها من تَكرار الإسنادِ، ووجهُ ذلك أنَّ فِعْلَ الجَعْلِ أُسنِدَ إلى الاسمِ الأحسنِ (اللّهِ) الواقِعِ مبتدأً، ثُمَّ أُسنِدَ الفعلُ إلى ضميرِهِ المستترِ - الواقِعِ في محلِّ الفاعلِ - فكان في الجملةِ تكرارٌ للإسنادِ، وهو مِن مقوّيات الكلامِ ومؤكِّداتِهِ.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالفِعْلِ ﴿جَعَلَ﴾:

عُبِّر بالفِعْلِ ﴿جَعَلَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾؛ للدَّلالة على الصَّيرورة، فهو مرحلَةٌ بعدَ مرحلةِ الخَلْقِ، أي: بعد أن خَلَقَها صيَّرها كذلك؛ لتكونَ مُناسِبَةً للحَياةِ[3].

تصيير الأرض وتمهيدها نعمة بعد الخلق

فائدَةُ التَّعبير بشِبْهِ الجملة ﴿لَكُمُ﴾ وتقديمِها:

جاءَ التَّعبيرُ بشبه الجملة ﴿لَكُمُ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾؛ لأنَّ نعمةَ بَسْطِ الأرض إنَّما هي للاهتمامِ بِشَأْنِ

هذه النِّعمةُ مَخصوصَةٌ لَكُم، فهَل تشكُرون؟

(1) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 197.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 444.
(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 194.

الإنسان[1]، فقُدِّم ذِكْرُهم؛ لبيان أنَّهم هُم المقصودونَ بهذا الجَعْلِ والبَسْط، والمعنى: جَعَلها على هيئَتِها هذهِ لأجْلِكُم، فهو استدلالٌ وامتنانٌ[2].

بلاغَةُ تَشْبيهِ الأرضِ بالبِساطِ:

بَسْطُ الأرض ومدُّها تمكينٌ للحركَةِ والتَّنقُّل فيها

شبَّه النَّظم الجليلُ الأرضَ بالبساط، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّها متَّسعةٌ كالبِساط والفراش، وذلك لتَسْهيلِ تقلُّبِهم وحركَتِهم عليها، كما يُقَلِّبون في بيوتِهم بُسُطَهم[3]، وهو تشبيهٌ بليغٌ؛ إذ قَدْ حُذِف وجهُ الشَّبَهِ والأداةُ، والمعنى: هي كالبِساط في تعادُلِ الأجزاء، فلا يوجِعُ أرجلَ الماشين، ولا يَقُضُّ جُنوب المُضْطَجِعين[4].

مَعْنى اللّام في ﴿لِّتَسْلُكُواْ﴾:

علَّة البَسْطِ بلوغُ الرِّزقِ والمنافِعِ

(اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على التَّعليل، فجُعِلَ السُّلوكُ فيها هو العلَّةَ التي من أجلها بُسِطَت الأرضُ، فالسَّير على وجهِ الأرضِ مِن أجَلِّ النِّعم التي يَستَوي فيها النّاسُ كُلُّهُم[5].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالسُّلوك مادَّةً وصيغَةً:

الذَّهابُ في الطُّرق والشِّعابِ نعمَةٌ بليغَةٌ للخَلْقِ

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالسُّلوك في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ للدَّلالة على سَيْرِهم في الطُّرُقِ ودُخولِهم فيها وذهابِهم في سُبُلِها السَّهلةِ الواضِحَة[6]، وجاء التَّعبير بالفعلِ المضارعِ للدَّلالة على تجدُّد السَّير ودوامه[7]، وللإشارة إلى أنَّ وجه الأرض سيَبْقى هكذا إلى أن يَشاءَ اللّهُ تعالى.

(1) الخطيب، السراج المنير: 4/ 393.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 258.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205، وينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 415.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(6) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 198.
(7) الخطيب، السراج المنير: 4/ 393.

سرُّ الجَمْعِ بينَ ﴿سُبُلًا﴾ و﴿فِجَاجًا﴾:

نِعَمُ اللهِ تَعالى وفيرةٌ؛ كثرةً وانتشارًا، وسَعَةً وسهولَةً

جَمَعَ البيانُ القرآنيُّ بين لفظ (السُّبل) ولفظ (الفِجاج)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ هذه الطُّرقَ واضحَةٌ مسلوكَةٌ مطروقة بكثرةٍ، كما دلَّ على ذلك لفظُ السُّبُلِ، وللدَّلالة على أنَّها متَّسعة كافية للسَّير عليها بلا ضيقٍ، كما دلَّ على ذلك لفظُ الفِجاج؛ إذ الفَجُّ: الطَّريق الواسع، وأكثر ما يُطلق على الطَّريق بين جبلين؛ لأنَّه يكون أوسعَ مِنَ الطَّريق المعتاد، وفائدةُ ذلك التَّنبيه على أنَّها نعمةٌ لبلوغ البلادِ الشّاسعة برًّا وبحرًا، فيعمُّ الانتفاعُ بجميعِ البِقاع[1].

دلالَةُ تنكيرِ المَوصوفِ وصِفَتِهِ:

تَنَوُّعُ الطُّرقِ الأرضيَّةِ واختلافُها

أوثِرَ التَّعبيرُ عن الصِّفة وموصوفِها ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ مُنَكَّرَيْنِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ للدَّلالة على كَثْرَتِها ووُضوحِها، وكثرة سلوكِها والإفادةِ مِنْها[2]، كما أنَّ في التَّنكيرِ مَعْنى التَّنويعِ، فهي سبلٌ متنوِّعةٌ مختلفةٌ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطِّباق والدَّرجات:

الدَّرجة منزلَةٌ ورُتْبَةٌ في الصُّعود، والطَّبقة ما عَلا شيئًا مساويًا لِما تَحْتَهُ

الدَّرَجة: واحدة الدَّرَجات، وهي الطَّبقات من المراتب[3]، وهي المنزلة، لكن يُقال للمنزلَةِ: درجَةٌ إذا اعتبرتَ بالصُّعودِ دونَ الامتدادِ على البَسيطَةِ، كدرجةِ السَّطح والسُّلَّم، ويُعبَّر بها عن المنزلةِ الرَّفيعة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]؛ تنبيهًا على رِفْعَةِ منزلَةِ الرِّجال عليهنَّ في العَقْلِ والسِّياسَة، وقال تَعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 163]، أي: هُم ذَوو درجاتٍ عندَ اللهِ تَعالى[4]، أمّا الطِّباقُ؛ فأصلُهُ مِن (طبق)، وهو يدلُّ على وضْعِ شيءٍ مبسوطٍ عَلى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 445 - 446، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 205.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 445.
(3) الجوهري، الصحاح: (درج).
(4) الراغب، المفردات: (درج).

مثلِه حتّى يُغَطّيَهُ[1]، وطَبَقُ كلِّ شَيءٍ: ما ساواهُ، والسَّماواتُ: الطِّباقُ، سُمّيَتْ بِذَلِكَ لُمطابَقة بَعْضِها بَعْضًا، أي: إنَّ بَعْضَها فَوْقَ بَعْضٍ[2]، ومِنْهُ قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: 3]، أي: بعضُها فوقَ بعضٍ[3]، فالدَّرجة تدلُّ على الارتقاء والعلوِّ والصُّعود، بخلافِ الطَّبقة، فهي ما وُضِعَ فوقَ شيءٍ مساويًا له، وقد جاء التَّعبيرُ بالطِّباق في آيةِ سورةِ نوحٍ عليه السلام: لكون السَّماواتِ ليست منازلَ للصُّعود والارتقاء، وإنَّما المراد: سبع سماوات طباقًا بعضُهنَّ فوقَ بعضٍ[4].

(السِّراج) و(المصباح):

المِصْباحُ مكانُ السِّراج، والسِّراجُ ما اتُّقد للإضاءَةِ

المصباحُ: مشتقٌّ من (صبح)، وأصله يدلُّ على لونٍ مِنَ الألوانِ، وهو الحُمْرَة، وسُمّي الصُّبح صُبحًا لحُمْرَتِه، كما سمّي المصباحُ مِصْباحًا لحُمْرَتِه[5]، والصَّباحُ: أوَّل النَّهار، وهو وقتُ ما احمرَّ الأُفُقُ بحاجِبِ الشَّمس، ويُقال للسِّراج: مِصْباحٌ، والمِصْباحُ: مقرُّ السِّراج[6]، أمّا السِّراج؛ فأصله من (سرج)، وهو يدلُّ على الحُسْنِ وَالزِّينَةِ وَالجَمالِ، ومنه: السِّراجُ، سُمِّيَ بذلك لِضِيائِهِ وَحُسْنِهِ[7]، والسِّراجُ: الزّاهر بفَتيلةٍ ودُهْن، ويُعبَّر به عن كلِّ مضيءٍ، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[8]، وأسرجتُ السِّراج: أوقدتُه[9]، فالمِصْباحُ: الأصل فيه الحمرةُ، وهو مقرُّ السِّراج، أمّا السِّراج؛ فهو المتَّقد للإضاءة، ولهذا لمّا أُريدَ مَعْنى الإضاءة لأهل الأرض في آية سورة نوحٍ عليه السلام؛ عُبِّر بالسِّراج؛ لأنَّه أنسَبُ لبَيانِ الضّياءِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طبق).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (طبق).
(3) الراغب، المفردات: (طبق).
(4) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 102.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبح).
(6) الراغب، المفردات: (صبح).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرج).
(8) الراغب، المفردات: (سرج).
(9) السمين، عمدة الحفاظ: (سرج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"